الأخلاق كأساس للحضارة في منظور الميتافيزيقي المسلم رنيه غينون (الشيخ عبد الواحد يحي: 1886-1951)

Ethics as the foundation of civilization in the perspective of the Muslim metaphysician René Guénon (Sheikh Abdul Wahid Yahya: 1886-1951)

الدكتور: زهير بن كتفي/ Dr. Zouhir BENKETFI

جامعة الوادي، كلية العلوم الإسلامية، الوادي/ الجزائر

University of El-Oued, Faculty of of Islamic Science, El-Oued/Algeria

Benketfi-zouhir@univ-eloued.dz ORCID ID: 0000-0001-8794-9371

مقدمة:

إنّ الحقيقة الأخلاقية أو الروح الأخلاقية هي حقيقة أو روح في أصلها منحة من الله تعالى ولم تتشكّل من حقائق متعلّقة بالعواطف الإنسانية أو الأعراف الثقافية تحديدا، وهي ليست محصورة في نطاق معين ومحدّد من السلوك البشري الفردي، وليست شيئاً ثانوياً في المجتمع بل هي الركيزة الأساسية فيه؛ فهي شاملة للسلوك البشري الفردي والاجتماع الإنساني كله. وما تلك المظاهر السلوكية الخُلقية الواضحة إلا الترجمة العملية لهذه الروح الأخلاقية. فهي ليست مشاعر مكنونة في داخل الضمير فحسب، إنّما هي عمل روحي سلوكي ظاهر بالأساس. ويبدو من خلال استقراء تاريخ الاجتماع الإنساني أنّ من أكبر منزلقات الحضارات الإنسانية اتجاهها إلى المادية الصلبة وانسلاخها عن هذه الروح الأخلاقية، وأكبر ما يتجلى هذا المنزلق الخطير في هذه الحضارة الغربية المعاصرة.

ويعدّ الميتافيزيقي الكبير الفرنسي المسلم الشيخ عبد الواحد يحي، René Guénon، من أهمّ الباحثين الغربيين البارزين الذين قدّموا نقدا صارماً للحضارة الغربية المعاصرة، بل إنّ جانبا مهمًّا من مشروعه قائم على نقد أسسها المادية التي ارتكزت عليها، حيث قدّم نقدا ميتافيزيقيا أخلاقيا مفصّلا لأهمّ مفاهيمها وتجلياتها في قطاعاتها الفكرية والعلمية والفردية والاجتماعية وغيرها، وترك نتاجا فكريا معتبرا في هذا الموضوع.

وسنحاول في هذه الورقة، في إطار دراسة العلاقة بين الأخلاق والحضارة، التطرق إلى إبراز قضية الأساس الأخلاقي للحضارة من خلال بيان النقد الميتافيزيقي الروحي الأخلاقي للحضارة الغربية عند رنيه غينون.

-مشكلة الدراسة:

ومن هذا المنطلق تتساءل هذه الورقة البحثية عن مدى كون الروح الأخلاقية أو الحقيقة الأخلاقية في بعدها الميتافيزيقي المرتبط بالإيمان بالله تعالى وبالتراث الروحي والملّة الأصليّة والحكمة الخالدة أساساً للحضارة عند رنيه غينون؟

-أهمية الدراسة:

وتبرز أهمية هذه الدراسة من خلال راهنية الموضوع الذي تتناوله؛ فالحضارة الغربية لا تزال هي الحضارة "النموذج" بالنسبة لشعوب العالم وللشعوب الإسلامية بما تقدمه من منجزات مادية وتكنولوجية هائلة وكبيرة جداً في هذا العصر، وبما تتكئ عليه من أسس ومرتكزات فكرية وفلسفية كالعقلانية والتجريبية والوضعية والعلمية حداثية وما بعد حداثية، ممّا كان له الأثر البالغ السلبي على مبادئ الإنسان الفكرية والروحية والعقدية.

علاوة على أنّ هذه الدراسة تحاول أن تبرز كيف أنّ رنيه غينون في إطار نقده للحضارة الغربية أعاد تقييم بصورة إيجابية وموضوعية دور ومفهوم التراث الروحي والملّة الأصلية والإيمان بالله كبنية مركزية للحضارة إذا ما أرادت هذه الحضارة الغربية الاستمرار في الوجود والبناء والفهم القويم للإنسان والكون والحياة.

هذا، فضلا عن أنّ شخصية ونموذج هذه الدراسة، أي رنيه غينون حاضر في قلب الجدل الفكري والفلسفي والديني في الغرب بما قدّمه من نقد صارم لهذه الحضارة الغربية وما طرحه من بدائل للخروج من الأزمة الحضارية الغربية، حيث يبدو إلى حد بعيد متفردا فيه.

-محددات الدراسة:

إنّ هذه الدراسة تحاول أن تتناول بالبحث عيّنة محددة هو "رنيه غينون"، في إطار المحور العام لها الذي هو: محور الأخلاق كأساس للحضارة، وذلك انطلاقا من رؤيته لهذا الموضوع من خلال نقده للحضارة الغربية. وبناءً عليه لا يمكن فهم مسألة الأخلاق كأساس للحضارة هنا بصورة معمّمة، لأنّ الدراسة تندرج تحديدا في نطاق العيّنة المختارة لها.

كما أنّ الأخلاق المقصودة هنا كأساس للحضارة تتناولها هذه الدراسة من خلال التركيز على ارتباطها بالجانب الميتافيزيقي وليس مفصولة عنه في حالة رنيه غينون، أي بالنظر إلى ارتباط الروح الأخلاقية أو الحقيقة الأخلاقية بالتراث الروحي أو الملة الأصلية أو الحكمة الخالدة، بتعبير أدق تمركز الأخلاق حول بالإيمان بالله تعالى وبتجلياته في الكون في رحاب الروحانية العميقة، وذلك انطلاقاً من مسلّمة أساسية هي: أنّ الحقيقة الأخلاقية هي حقيقة لم تتشكّل من حقائق متعلّقة بالعواطف الإنسانية أو الأعراف الثقافية تحديدا، وإنما هي منحة من الله تعالى.

-منهجية الدراسة:

وقد فرضت عليّ طبيعة موضوع هذه الدراسة استخدام منهجين أساسيين هما: المنهج الاستقرائي والمنهج الوصفي، في إطار دراسة العلاقة بين الأخلاق والحضارة، والتطرق إلى إبراز الأساس الأخلاقي للحضارة من خلال بيان النقد الميتافيزيقي الروحي الأخلاقي للحضارة الغربية عند رنيه غينون. فقد حاولت أن أتقصى وأتتبع نصوص رنيه غينون في مؤلفاته العديدة في ما يتعلق بموضوع الدراسة؛ أي تلك التي تخص مجمل آرائه النقدية للحضارة الغربية. كما حاولت أن أقف كذلك عند حدود النقد الذي وجهه رنيه غينون للحضارة الغربية وإبراز الأسس الأخلاقية التي يجب أن يقوم عليها البناء الحضاري إذا ما أريد لهذه الحضارة المعاصرة الاستمرار، وذلك من خلال وصف وتحليل نصوصه ودراسة المفاهيم الواردة فيها، بتفسيرها وبحث البِنية المفاهيمية لها.

-مصطلحات الدراسة:

ومن أهمّ المصطلحات التي ترتكز عليها هذه الدراسة أساسا مصطلح الأخلاق، ومصطلح الحضارة، ومصطلح رنيه غينون إلى جانب مصطلح الميتافيزيقا والتراث العرفاني الروحي فيما يتعلق بارتباط الأخلاق بها كما أشرت إليه في محددات الدراسة. وسنأتي إلى بيان هذه المصطلحات والتعريف بها وضبط مفهوماتها في صلب هذه الدراسة.

1. مفهوم الأخلاق والحضارة:

لا بد من إطلالة سريعة على مفهوم الأخلاق والحضارة سواء من الناحية اللغوية أو الاصطلاحية لنحدد ما نرتجيه من معنى لهما نوظفه في هذا البحث، خاصة وأن المعجم اللغوي والمفاهيمي للمصطلحين ثري جدا.

1.1. مفهوم الأخلاق لغة واصطلاحا:

2.1.1. مفهوم الأخلاق لغة:

الخُلُق بضمتين أو خُلْق بضمة واحدة، مفرد أخلاق، ولها عدّة معانٍ، منها الطبع والسجية. والخليقة هي الطبع في الإنسان، ورجل لا خَلاقَ له ليس له رغبة في الخير ولا صلاح له في الدين. وخُلُق الإنسان ما طُبع عليه[1].

وخُلُق الرّجل سجيته. وفلان يتخلّق بغير خلقه، أي يتكلّفه. ويقال له خلق حسن وخليقة وهي ما خلق عليه من طبيعته. وهو خليق لكذا: كأنّما خلق له وطبع عليه[2].

والخُلُق بالضم وبضمتين السجيّة والطبع والمروءة والدِّين[3].

---

[1] -أبو بكر الأزدي، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي (بيروت: دار العلم للملايين،1987)، 618/1.

[2] -أبو نصر الجوهري، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار (بيروت: دار العلم للملايين، 1987)، 4/ 1471.

[3] -الفيروزآبادى، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة (بيروت: مؤسسة الرسالة، 2005)، "خلق"، 1/ 881.

ويقال للذي قد ألف شيئا: صار ذلك له خُلُقا، أي: مَرَن عليه، ومن ذلك الخُلق الحسن[1].

وفلان يتخلّق بغير خلقه أي يتكلّفه[2].

وفي لسان العرب الخلق، بضم اللام وسكونها: هو الدين والطبع والسجيّة، وحقيقته أنّه لصورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها، ولهما أوصاف حسنة وقبيحة. والثواب والعقاب يعلقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة[3].

هذه بعض التعريفات اللغوية تؤكد أنّ مفهوم الأخلاق يتمركز حول اعتبار ما كان طبعا وسجيّة في الإنسان ولا يحتاج إلى كُلْفة في إظهاره أو القيام به، فهو جِبلّة في الإنسان وشيء مغروس بداخله. كما انصرف بعض من تلك التعريفات اللغوية للأخلاق إلى مماهاتها في الدين، فرجل على خُلُق، أي أنّه على دين يظهر في سلوكاته وأقواله وأفعاله. وهذا المعنى يؤيده ثناء الله تعالى على نبيّه صلى الله عليه وسلم وقوله له:﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[القلم:04]. وممّا أُثر عن الإمام الجنيد رحمه الله (ت:298ه) في تفسير هذه الآية أنّه قال: "سمي خلقه عظيما؛ لأنّه لم تكن له همّة سوى الله عز وجل"[4]. وهذه الإشارة من الإمام الجنيد لها مغزى عميقا يظهر فيما نحن بصدد بحثه من اعتبار الأخلاق كأساس للحضارة.

3.1.1. مفهوم الأخلاق اصطلاحا:

أمّا مفهوم الأخلاق من الناحية الاصطلاحية فقد عُرِّف بتعريفات عدّة سنحاول أن نقف معها مُراعين في ذلك التنوع الزمني والجغرافي والملّي، وقد شكّل هذا المفهوم مثار نقاش مستمر بين الفلاسفة والمفكرين خضع لاختلاف الديني والاجتماع الإنساني والثقافي والفلسفي، وهو ما يؤكد على الميزة التي تتميّز بها الأخلاق كونها تحمل مضامين إنسانية وعالمية كونية. وسنحاول الاقتصار على تعريفين منها في إطار المجال التداولي الإسلامي لكل من ابن مسكويه(ت:421ه) وحجة الإسلام أبي حامد الغزالي(ت:505ه) رحمة الله عليهما. وتعريف في إطار المجال التداولي الغربي للفيلسوف الفرنسي "أندري لالاند" (ت:1963).

-فابن مسكويه يعدّ من أبرز العلماء المسلمين الذين اهتموا بالبحث في موضوع الأخلاق والتأليف فيه، ويظهر ذلك جلياً في كتابه: "تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق"؛ حيث عرّف الخُلق بكونه: "حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا رويّة"[5].

-وقد اعتنى أبو حامد الغزالي بالأخلاق في جملة من مؤلفاته وعلى رأسها كتابيه: "إحياء علوم الدين"، و"ميزان العمل"، وعرّف الخُلُق بأنّه: "عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر ورويّة فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خلقا حسنا وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا"[6].

والملاحظ على التعريفين تقاربهما المفاهيمي الكبير، بالإضافة إلى ما ضمّنه الغزالي في تعريفه من الإشارة إلى معيار تمييز الأخلاق حسنها من قبيحها، وهو معيار المدح والذم والتحسين والتقبيح؛ فما حسّنه الشرع وحَمَد فاعله كان خلُقا حسنا وما ذمه الشارع وذمّ فاعله كان خُلُقا قبيحا، وهو معيار دقيق يدفع الوهم الذي يقع فيه الكثيرون حين يلحقون بدائرة الأخلاق سلوكات غير أخلاقية؛ إذ ليس كل ما يصدر من الإنسان من سلوكات داخل في الأخلاق، فمنه ما هو بحكم العادات. وقد نبّه على هذه المسألة أحد الباحثين بقوله: "وحشر أنواع السلوك الإنساني تحت عنوان الأخلاق خطأ فادح، (...) والذي أوقع كثيرا من الباحثين في موضوعات الأخلاق في أخطاء جوهرية عدم تمييزهم بين أنواع السلوك الإنساني"[7].

---

[1] - مرتضى الزَّبيدي، تاج العروس، تحقيق: مجموعة من المحققين (دار الهداية، د. ت)، 253/25 -254.

[2]- أبو بكر الرازي، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد (بيروت-صيدا: المكتبة العصرية، الدار النموذجية،1999)، 95.

[3]- ابن منظور، لسان العرب (بيروت: دار صادر، 1414ه)، "خلق"، 87/10.

[4] -ابن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: عمر أحمد الراوي (بيروت: دار الكتب العلمية، 2005)، 106/8.

[5]- ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، تحقيق: عماد الهلالي (بغداد-بيروت: منشورات الجمل، 2011،)، 265.

[6]- أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين (بيروت: دار المعرفة، د.ت)، 3/ 53.

[7]- عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها (بيروت: دار القلم، 1999)،13/1.

وبناء عليه فالمعيار الذي وضعه أبو حامد الغزالي في التمييز بين ما هو حسن من الأخلاق وما هو قبيح يفضي إلى القول أنّ الأخلاق الحسنة والمحمودة هي كل سلوك فردي أو اجتماعي تلتقي النفوس على استحسانه ومدحه على اختلاف أديانها ومذاهبها وعاداتها، والأخلاق المذمومة كل سلوك فردي أو اجتماعي تلتقي النفوس على استقباحه واستنكاره وذمّه، على اختلاف أديانها ومذاهبها وعاداتها[1].

- عرّف الفيلسوف الفرنسي أندري لالاند الأخلاق بأنّها:" مجموعة القواعد السلوكية المعتبرة صالحة بلا شرط"[2]. وفي الواقع فإنّ لالاند لم يقدم تعريفا محددا للأخلاق ولكنه ناقش مفهوم الأخلاق بشكل مفصّل، فالأخلاق عنده هي نظام من القواعد والقيم التي تنظم السلوك الإنساني، وتستمد من طبيعة الإنسان واحتياجاته ورغباته، وبناء عليه فهي نظام يتطور مع مرور الوقت ويتكيف مع احتياجات الناس. والأخلاق عنده تختلف باختلاف المجتمعات والثقافات. كما يؤكد على أنها ضرورية لبناء مجتمعات عادلة وسعيدة[3].

وممّا تجدر الإشارة إليه هنا أنّ لالاند لم يعتبر الأخلاق تابعة للدين، بل اعتبرها أوسع من الدين، وأنّها تشمل مجموعة من الواجبات والمسؤوليات التي لا تقتصر على المعتقدات الدينية. فهو في موقفه هذا قريب من الاتجاه الذي يرى باستقلالية الأخلاق عن الدين وهو الاتجاه الأكثر شيوعا في الوعي الغربي، هذا فضلا عن اتجاه آخر يقول بتبعية الدين للأخلاق[4].

وفي المقابل نجد مثلا أنّ الأخلاق عند أبي حامد الغزالي غير مفصولة عن الدين بل هي تابعة له كما رأينا، حتى أنّه يوظّف مصطلحات هي من صميم المجال التداولي الإسلامي، حيث نجده مثلا يتحدث عن علم الأخلاق فيسميه "علم طريق الآخرة" أو "علم صفات القلب" أو "أسرار معاملات الدين"، وربما سماه "أخلاق الأبرار"، والوظيفة الأساسية لهذا العلم عنده هي تكييف النفس وردّها إلى ما رسمته الشريعة لها وخطه أهل العرفان والمكاشفة من العلماء الربانيين ومن سبقهم من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والصديقين[5]. وهذا المنظور الذي قدّم به الغزالي علم الأخلاق يجعل الأخلاق غير مُنفكّة أو منفصلة عن الدين بل هي روحه لقول النبيّ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأخلاق»[6].

4.1.1. أية علاقة بين الأخلاق والدين والميتافيزيقا؟

وعدم انفكاك الأخلاق عن الدين يتضمن، على الأقل وخاصّة في المجال التداولي الإسلامي، جانبا ميتافيزيقيا مهمّا يحدد علاقة وطيدة بين الأخلاق و"الميتافيزيقا الخالصة" كما يصفها رنيه غينون، (أو العرفان الإلهي)، والتي تتجلى أكثر في الجانب الباطني الروحي للدين أو للشريعة، وأيضا في التراثي الروحاني العرفاني لمختلف الملل الكبرى عبر تاريخ البشرية. وبهذا الاعتبار فالدين والميتافيزيقا في علاقتهما الوطيدة بالأخلاق يتعاملان مع أسئلة أساسية عن الوجود ويقدمان إجابات عنها ويضطلعان بدور مهم في علاقتهما بالأخلاق؛ فالدين يقدم نظامًا أخلاقيًا جاهزًا، بينما الميتافيزيقا تبحث في أسس

---

[1]- عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، 16/1.

[2]- أندريه لالاند، "الأخلاق، الأخلاقية"، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب: خليل أحمد خليل (بيروت-باريس: منشورات عويدات، 2001)، 839/2.

[3]- المؤلف نفسه، موسوعة لالاند الفلسفية، 839-840؛ عبد الرحمن بدوي، "لالاند"، موسوعة الفلسفة، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1984)، 344/2-347.

[4] - أنظر مثلا حول العلاقة بين الأخلاق والدين: مصطفى حلمي، الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام (بيروت: دار الكتب العلمية، 2004م-1442ه)؛ نهى يوسف: "جدلية العلاقة بين الدين والأخلاق"، https://journals.ekb.eg/article_121611.html، (الوصول 8-7-2024).

[5]- زكي مُبارك، الأخلاق عند الغزالي (مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012)، 147.

[6]- ذكره مَالك فِي الْمُوَطَّأ بلاغا عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم. وَقَالَ ابْن عبد الْبر هُوَ مُتَّصِل من وُجُوه صِحَاح عَن أبي هُرَيْرَة وَغَيره عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم. وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيّ فِي مُعْجَمه من حَدِيث جابر. أنظر: بدر الدين الزركشي الشافعي، التذكرة في الأحاديث المشتهرة، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، 1986)، 89.

الأخلاق ومفاهيمها. هذه الأسس والمفاهيم تظهر كما أشرنا في ذلك التراث الروحي العرفاني الإلهي في مختلف الملل الكبرى عبر تاريخ البشرية المستندة إلى الملة الأصلية -الفطرة الإلهية. وهذا المنظور هو الذي سنتناول به الأخلاق كأساس للحضارة عند رنيه غينون.

وفي الواقع فإنّ الإيمان الذي يرتبط رأسا بالدين هو التفسير الأكثر إرضاء للقدرة البشرية على الإدراك الأخلاقي؛ ذلك أنّ هناك فجوة لم تستطع أن تفسرها الفلسفة العلمانية القائمة على الفهم الذي تمدّها به العلوم الفيزيائية، وهذه الفجوة ليست من النوع الذي يمكنه أن يُسد باكتشاف علمي جديد؛ ذلك أنّ الالتزامات الأخلاقية الأكثر أساسية في حياة الإنسان تشير إلى مصدر ميتافيزيقي، إلى مصدر فائق للطبيعة يُمكّن الإنسان من معرفة ماهية الخير والصواب[1].

2.1. مفهوم الحضارة لغة واصطلاحا:

لقد تعددت آراء المؤرخين والمفكرين حول إعطاء مفهوم محدد للحضارة ومعناها باعتبارها مصطلح متشعّب ومتعدد التعريفات؛ لذا سنتطرق هنا إلى مفهوم الحضارة في اللغة وفي اصطلاح بعض المؤرخين والباحثين في الحضارة سواء كانوا غربيين أو مسلمين، مع التطرق طبعا إلى رأي رنيه غينون.

1.2.1. **تعريف الحضارة لغةً:**

-الحضارة من حضر، حضورا، وحضارة: ضدّ غاب، و"الحضارة: هي الإقامة في الحضر"[2].

-"الحَضَر والحَاضِرة"، هي خلاف البادية، وهي المدن والقرى، سميت بذلك لأنّ أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار، التي كان لهم بها قرار[3].

2.2.1. مفهوم الحضارة اصطلاحا:

معاني الحضارة في الاصطلاح عديدة، وسنورد بعض آراء المفكرين العرب والغرب في تصوراتهم لمفهوم الحضارة.

3.2.1. الحضارة في الاصطلاح العربي:

وردت لها تعريفات عدة منها:

-**تعريف مجمع اللغة العربية:** الحضارة هي "جملة مظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي التي تنتقل من جيل إلى جيل في مجتمع أو مجتمعات متشابهة"[4].

-**تعريف مالك بن نبي:** يذهب مالك بن نبي في تعريفه للحضارة إلى القول بأنّ: "الحضارة هي جملة العوامل المادية والمعنوية التي تتيح لمجتمع ما أن يوفر لكل عضو فيه جميع الضمانات الاجتماعية اللازمة لتطوره"[5]. وجاء في تعريف آخر لها قوله: "إنّ الحضارة هي مجموع الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل فرد من أفراده، في كل طور من أطواره، منذ الطفولة حتى الشيخوخة، المساعدة الضرورية له في هذا الطور أو ذاك من أطوار نموه"[6].

4.2.1.الحضارة في الاصطلاح الغربي:

---

[1] - أنظر: أنجوس ريتشي، من الأخلاق إلى الميتافيزيقا، مترجم: خليل زيدان (الرياض: دار وقف دلائل للنشر، 1442هـ-2021م).

[2]- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، 376.

[3]- ابن منظور، لسان العرب، 148/4.

[4]- مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي (القاهرة: الهيئة العامة للشؤون الأميرية، 1403هـ-1983م)، 37.

[5]- مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مترجم: بسام بركه وأحمد شعبو (بيروت: دار الفكر المعاصر، 1988م)، 42.

[6]- المؤلف نفسه، آفاق جزائرية (مكتبة عمار،1981م)، 38.

-**تعريف أوزفالد شبنغلر (1880-1936م)**:"الحضارة هي كل متكامل غير قابل للتجزئة وظاهرة أوّلية متفردة روحية لجماعة من الناس لها تصور واحد عن العالم وتتبلور وحدة تصورهم في مظاهر حضارية من فن ودين وفلسفة وسياسة وعلم"[1].

-**تعريف ويل ديورانت(1885-1981م)**: "الحضارة نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، وإنما تتألف الحضارة من عناصر أربعة هي: الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية والتقاليد الخلقية ومتابعة العلوم والفنون"[2].

5.2.1. مفهوم الحضارة عند رنيه غينون:

يمكن القول عموماً أنّ رينيه غينون يقدم رؤية شاملة للحضارة تتجاوز إلى حدٍّ بعيد التعريفات المادية الضيقة؛ فهو يرى الحضارة ككيان عضوي يتسم بالوحدة والتكامل، حيث تتضافر مختلف العناصر، المادية والمعنوية، الفردية والجماعية، لتشكيل بنية مترابطة تسعى نحو تحقيق غاية عليا.

إنّ مفهوم الحضارة عند غينون يرتكز على جملة من الأسس منها: الروحانية وتتجلى من خلال المبادئ والقيم العليا التي تحكم المجتمع، مثل الدين والأخلاق وهي تشكّل جوهر الحضارة وأساسها وتضفي عليها المعنى والغاية. وبالنظر إلى أنّ الحضارة تعدّ نتاج تراكم المعرفة والخبرات عبر الأجيال فإنّ التراث الروحي والعرفاني فيها يضطلع بدور هام في نقل القيم الأخلاقية والمعارف الروحانية والميتافيزيقية جيلا بعد جيل وهو الذي يحفظ على الحضارة روحها. كما يرى رنيه غينون أنّ الرمزية تُعدّ لغة أساسية للتعبير عن المعاني العميقة في أية حضارة؛ فالشعائر والطقوس أو قل رموز العلم المقدس، والفنون وغيرها من الرموز الأخرى تُجسّد المعاني الروحية وتُحافظ عليها حية في الوجدان الشعبي. وحسب غينون فإنّ المسؤوليات تُناط أكثر، في التنظيم الهرمي لأية حضارة، بالنخبة الفكرية والروحية التي تُرشد المجتمع نحو تحقيق غايته العليا.

ومن هذا المنطلق قدّم رينيه غينون رؤية ثاقبة وجدّ هامة لمفهوم الحضارة، تُساعد إلى حدٍّ بعيدٍ على فهم مسار الحضارة وتطورها، وتُحفزّ على التفكير بشكل نقدي في الحضارة الغربية المعاصرة ومسارها. وهو ما أفضى به إلى أنّ يبدو في مجمل كتاباته معترضا أشدّ ما يكون الاعتراض وقلقاً على وضع ومآل الحضارة الغربية؛ الأمر الذي أدّى به إلى نعتها بـ"الشذوذ" بالنظر إلى الحضارات السابقة عليها، حيث يقول: "في مسار التاريخ، تظهر الحضارة الغربية الحديثة كشذوذ حقيقي، فهي الوحيدة من بين كل الحضارات المعروفة التي تطورت في اتجاه مادي بحت، وهذا التطور الشاذ، الذي تطابقت بدايته مع ما اتفق على تسميته بعصر النهضة، صاحبه ما كان حتمي الوقوع، وهو ارتداد في الميدان العرفاني، متناسب مع ذلك التطور غير مكافئ له، لأنهما مجالين متباينين"[3].

وفي الواقع كثيرة هي الكتابات والمؤلفات التي أنتجها رنيه غينون. وفي هذا المجال تحديدا، أي مجال دراساته الحضارية ونقده للحضارة الغربية المعاصرة، نجد له أربعة كتب أساسية، ثلاثة منها تشكّل مجموعة متكاملة تجدر قراءتها كلها على ما يذهب إلى ذلك الشيخ عبد الباقي مفتاح الذي ترجم أغلب كتب رنيه غينون إلى العربية، وهي بحق كذلك، لأنّها متكاملة في تسلسل ظهورها حسب تواريخ تأليفها، وأيضا لوحدتها الموضوعية البارزة في الدراسات الحضارية. أوّل هذه الكتب تأليفاً كتاب "شرق وغرب" فقد ألّفه بعد الحرب العالمية الأولى سنة 1924، حيث تميّزت هذه الفترة بأحداث كبيرة من أهمها: إلغاء الخلافة الإسلامية التي كان مركزها في تركيا، وتمكّن الاستعمار الغربي من احتلال جلّ بلدان العالم الإسلامي والهيمنة عليها، بالإضافة إلى انتشار الإلحاد العلماني الذي اكتسح الغرب، والإلحاد الشيوعي خصوصا بعد تأسيس ما كان يسمى آنذاك بالاتحاد السوفياتي سنة 1922. والكتاب الثاني: "أزمة العالم الحديث"[4] ألفه سنة 1927، في مناخ كانت تسوده صراعات سياسية واجتماعية وفكرية عالمية وأوربية كبرى، إلى جانب شهود الغرب لتطور هائل في المجال الصناعي لاسيما فيما يتعلق بأسلحة الدمار الشامل. أمّا الكتاب الثالث فهو: "هيمنة الكم وعلامات آخر الزمان"[5] ألفه سنة 1945 عقيب الحرب العالمية الثانية وما خلّفته من دمار كبير على شتى المستويات والميادين والمجالات. وظهور

---

[1]- أوزفالد شبنغلر، تدهور الحضارة الغربية، مترجم: أحمد الشيباني (بيروت: دار مكتبة الحياة، (د.ت))، 7/1.

[2]- ويل ديورانت، قصة الحضارة، مترجم: زكي نجيب محمود (بيروت: دار الجيل،1982)، 4/1.

[3]- عبد الواحد يحي، شرق وغرب، مترجم: عبد الباقي مفتاح (إربد الأردن: عالم الكتب الحديث، 2016م)،55.

[4] -المؤلف نفسه، أزمة العالم الحديث، مترجم: عبد الباقي مفتاح (إربد الأردن: عالم الكتب الحديث، 2016م).

[5] - المؤلف نفسه، هيمنة الكم وعلامات آخر الزمان، مترجم: عبد الباقي مفتاح (إربد الأردن: عالم الكتب الحديث، 2013م).

ملامح نشأة الكيان الصهيوني اليهودي في قلب العالم الإسلامي. وبهذا الكتاب يكون رنيه غينون قد توّج هذه المجموعة المتميّزة في أصالة طرحها وعمق تحليلها، عن غيرها من الدراسات الحضارية المعاصرة[1].

ويؤكد الشيخ عبد الباقي مفتاح، في هذا الإطار، على مسألة جدّ هامة وهي أنّ هذه الكتب لم تكن وليدة ظروف عابرة، كما أنّ الدافع لكتابتها لم يكن هذه الأحداث التي أشرنا إليها، "بل العكس من ذلك تماما، أيّ أنّها توضّح من منظور تراثي روحاني عرفاني أنّ هذه الأحداث وما قبلها وما سيأتي بعدها، ما هي إلا مظاهر لحقائق وجودية ثابتة، ومبادئ مهيمنة بكل حكمة بالغة على سيرورة الكون"[2].

أمّا الكتاب الرابع في هذا المجال فهو بعنوان: "السلطة الروحية والحكم الزمني"[3]، والذي ألفه سنة 1929، وقد عرض فيه إلى ما ينبغي أن تكون عليه العلاقات التي تضبط وظيفة علماء الدين بوظيفة رجال الحكم، ذلك لأنّ طبيعة هذه الارتباطات هي التي تحدد موقع المجتمع من القداسة والثبات في الأصالة الحافظة لكلّ مجتمع من التفكك والتدهور. ويقرر الشيخ عبد الواحد يحي في هذا الكتاب أنّ أي اختلال في سلم القيم الدينية والاجتماعية يؤول إلى قلبها، ومن هذا الانقلاب السالب تنشأ الفوضى في العقائد والمفاهيم والأفكار والسلوكيات، وتلك هي علامة الدخول في أحلك الحقب التي تشكّل المرحلة الظلامية لتاريخ الإنسانية، وهي هذه المرحلة بالذات التي دخلتها البشرية المنفصلة عن أصالتها الدينية منذ قرون مع هذه الحضارة الغربية المعاصرة[4].

ويطال النقد التشريحي للحاضرة الغربية عند غينون عدة مفاهيم أساسية تقف بالضد من الأسس الأخلاقية المتكئة عنده على الجانب الميتافيزيقي المتمثل في المبدأ الإلهي العرفاني والتراث الروحي، حيث سعى في كتبه هذه الأساسية حول الحضارة وفي كتبه الأخرى إلى العمل، ودون أدنى تنازل، على نقد ما اعتبره أوهام هذه الحضارة الغربية المعاصرة والإشادة بسمو الشرائع الإلهية والمبادئ العرفانية الشرقية. ونقد الحداثة الغربية كما تظهر في اللهفة وراء التطور المادي المبتور عن كل ترقٍ روحي أخلاقي، وفي تأليه العقل المقطوع عن الوحي الرباني، وفي متاهات التكديس والتكاثر للتقنيات والعلوم المادية دون اعتبار لأصولها العلوية، وفي أخلاقيات سطحية لعواطف رجراجة فقدت أصولها العرفانية الروحية والأخلاقية. كل ذلك في إطار حضارة في منتهى الهشاشة، تحدق بها الأخطار التي تنشئها بنفسها كلما ازداد تطورها. ولا نجاة للغرب من دوّامة الخواء الروحي إلا بالاقتراب من التعاليم الروحية الربانية التي لا تزال حية في الشرق. هذا طبعا إذا أراد الغرب العودة إلى حضارة متوازنة[5].

وسنحاول فيما يأتي بيان النقاط الأساسية التي يرتكز عليها هذا النقد التشريحي للحضارة الغربية عند غينون:

2-من أوهام الحضارة الغربية:

إنّ من أهم الانتقادات التي وجهها رنيه غينون إلى الحضارة الغربية الحديثة هو ادعاؤها بأنّها حضارة عالمية كونية، والحقيقة كما يرى أنّ الكونية التي تزعمها ماهي إلا وهم وسراب لأنّ الواقع الفكري والثقافي والفلسفي لهذه الحضارة هو بالنقيض من ذلك. ويظهر نقده لها في هذا الإطار في الآتي:

1.2. وهم الاختزال:

إنّ من أشدّ ما يأخذه عبد الواحد يحي على الحضارة الغربية ممّا يقف بالضد من الأسس الأخلاقية هو ذلك الاختزال والأحكام المسبقة الذي تمارسه على غيرها من حضارات الشعوب الأخرى وبالأخص الشرقية منها. يقول في هذا المعنى: "فكل ما لم يأت من عندهم(=الغربيين) ينبغي اعتباره معدوما باطلا، "المساواة" عندهم لا تسمح للشعوب والأجناس الأخرى أن تكون لهم عقليتهم الخاصة بها (...) زد على هذا أنّ "المساواة" التي كم هي عزيزة على الغربيين تختزل بمجرد الخروج من عندهم (...) فالشرقيون الأكثر ثقافة وحضارة، والشعوب الأكثر بربرية يعاملون تقريباً بنفس الكيفية لأنّهم خارج محيط "الحضارة" الوحيدة التي لها الحق في الوجود"[6]. وهذا الاختزال أفضى إلى تضخّم الأنا الأوروبي فأنتج عدوًّا وهميا هو "الخطر الشرقي"، حيث أصبح وسيلة يبرر بها الغرب جرائمه، في حين أن الخطر الحقيقي، في اعتقاد عبد الواحد

---

[1] - عبد الواحد يحي، شرق وغرب، 40.

[2] - عبد الواحد يحي، شرق وغرب، 40.

[3] - المؤلف نفسه، السلطة الروحية والحكم الزماني، مترجم: عبد الباقي مفتاح (إربد الأردن: عالم الكتب الحديث، 2018م).

[4] - عبد الباقي مفتاح، شاهد الحقيقة رنيه غينون (الجزائر: المكتبة الفلسفية الصوفية،1441هـ-2019م)، 116-117.

[5] -عبد الواحد يحي، شرق وغرب، 41.

[6]- المؤلف نفسه، شرق وغرب، 90.

يحي يكمن في طبيعة الحضارة الغربية نفسها، في ماديتها الصرفة، "ومن المحتمل جداً أن يؤول التقدم المادي المفرط إلى كارثة"[1].

من خلال هذا الوهم ترسّخت وتجذّرت في أذهان أفرادها خصوصاً في العصر الحديث، أحكاماً مسبقة لتفوقها وعدم وجود حضارة أو حضارات متفوقة على حضارتهم سواء في الماضي أو في الحاضر، يقول غينون: "الحضارة عندهم، هي درجة التطور واكتمال التقدم، الذي بلغته الأمم الأوروبية (...) بالجملة، فالحضارة هي أوروبا نفسها، إنها شهادة امتياز منحها العالم الأوروبي إلى نفسه"[2].

وفي الواقع فإنّ هذا الفهم للحضارة على أنّها كيان واحد، هو أمر لا وجود له في الواقع على مستوى الممارسة، بل على العكس من ذلك تماما هو أمر وهمي خالص؛ فقد كان هناك دائما ولا يزال حضارات كثيرة، والحضارة الغربية بسماتها وخصائصها هي حضارة من جملة حضارات أخرى[3].

2.2. وهم التقدم:

وعلى الرغم من أنّ غينون لا ينكر إنجازات الحضارة الغربية المادية والعلمية، لكنّه يرى أنّ ما يعتبره الغربيون تقدما حضاريا ما هو في حقيقة الحال إلا تقهقرا، حيث يقول: "ولا يأبهون لحقيقة أنّ التقدم في اتجاه ما، سوف يتوازن مع تخلف في اتجاه آخر"[4]. فنظرية التقدم التي ترتكز عليها حضارة الغرب الحديث، تنظر إلى "التغّير" على أنّه معيار للتقدم، وإلى "الاستقرار" على أنّه معيار للتقهقر، يقول غينون: "فالأوربيون يزعمون أنّهم يرون في عدم التغير صفة دونية منذ بدءوا في الاعتقاد بالتقدم والتطور (...) بينما نراها من جانبنا حالة متزنة فشل الغرب في تحقيقها. ثم إنّ ذلك الاستقرار يُعَبَّر عنه في أشياء صغيرة كما يتجلى في الأمور الكبيرة، وكمثل بارز على ذلك فإنّ "الموضة" بتغّيراتها التي لا تنقطع، هي مشكلة في الغرب فقط. وباختصارٍ؛ يبدو أنّ الغربيين -وخاصة المحدثين منهم-قد تلبّستهم طبيعة متغيرة غير مستقرة، ورغبة جارفة في الحركة والإثارة"[5].

فالغربيون في منظور رنيه رغينون يرون أنّ التغيّر حتمية لأي حركة يمكن أن توصف بأنّها تقدم، فبدون التغيّر لن يكون هناك تقدم، وكأنّ كل استقرارٍ ليس تقدماً، ما جعلهم مهووسين بالتجديد الدائم، الأمر الذي جعلهم يفتقرون إلى قاعدة روحية صلبة تحميهم من الضياع والانحلال والتلاشي. وبهذا الاعتبار يرفض غينون فكرة "التقدم اللامحدود"، والتي مفادها أنّ الإنسانية في جملتها في تطور مستمر متصاعد خطيا مع الزمن، وهي رؤية تبسيطية إلى أبعد حد، كما يرى غينون، تتناقض مع كل الوقائع المعروفة[6].

ثمّ إنّ هذا التغيّر المستمر والمتسارع الذي عليه حال الحضارة الغربية اليوم هو الذي يؤكد عند غينون فقدان هذه الحضارة للمبدأ وللغاية. في حين يؤكد أنّ الاستقرار لا ينافي كل تحوّل؛ فهو استقرار يجعل التحوّل مقتصرا على أن يكون دائما تكيفاً مع الظروف حيث لا يحدث أي مساس بالمبادئ أصلا، أي المبادئ الأخلاقية في أبعادها الميتافيزيقية القائمة على التراث العرفاني الروحي. بل أكثر من ذلك يمكن أن يستنبط ذلك التكيّف من تلك المبادئ[7].

إنّ الشيخ عبد الواحد يحي لا يشكّك في وجود تقدم مادي حققته الحضارة الغربية الحديثة، لكنّه يعترض على أهمية التقدم بالمفهوم الحداثي الذي هيمن على هذه الحضارة، والذي يتناقض مع المبدأ العرفاني الروحي الأخلاقي بل يسحقه؛ لأنّ التقدم الحداثي يتماهى مع المادي تماهيا مطبقاً. ومن هنا فهو يفضل كلمة "تطور" على كلمة تقدم من حيث ما تكتسبه الكلمة الأخيرة من "القيمة الكبرى" عند الغربيين. ويعترف بقوله: "ونحن لم نشكك أبدا في وجود "تقدم مادي"،

---

[1]- المؤلف نفسه، شرق وغرب،117.

[2]- عبد الواحد يحي، شرق وغرب،59.

[3]-رينيه غينون، مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية والهندوسية بوجه خاص، مترجم: عمر الفاروق عمر (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2003م)، 37.

[4]- المؤلف نفسه، مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية،41.

[5]- المؤلف نفسه، مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية،31؛ المؤلف نفسه، شرق وغرب، 99.

[6]- عبد الواحد يحي، شرق وغرب،61، 68.

[7]- المؤلف نفسه، شرق وغرب، 99-102؛ المؤلف نفسه، السلطة الروحية والحكم الزماني، 30.

وإنما اعترضنا فقط على أهميته. والرأي الذي نؤيّده هو أنّه لا يكافئ ما يتسبب في فقدانه في الجانب الروحي العرفاني، ولا يخالف هذا الرأي إلاّ من كان جاهلاً بالعرفان الحق"[1].

ويرى الشيخ عبد الواحد يحي أنّ ما يسميه الغربيون بـ"التقدم الأخلاقي" لا ينفصل بتاتاً عن مفهوم "التقدم المادي"، فهما مفهومان غير منفصلين عن بعضهما البعض[2]. "فتحت التقدم الأخلاقي المزعوم، كما يرى غينون، تختفي أيضا حقيقة أخرى، أو تغذي الوهم المتعلق بها، وهي تفشي النزعة العاطفية"[3]. فهذا التقدم الأخلاقي المزعوم ما هو في حقيقته إلاّ وهم تقبع خلفه أو تحته النزعة العواطفية في تنوعاتها من فرد إلى آخر، والتي أريد لها أن تمثّل الأخلاق. وغينون لا يشكّك في العاطفة كمستوى من مستويات سُلّم المراتب الوجودية الإنسانية والكونية من الضروري مراعاتها، ولكنّه يرفض قلب الحضارة الغربية تماما العلاقات الطبيعية بين المستويات الوجودية الإنسانية والكونية، حيث تمّ في إطارها نكوص ما يسميه "المجال العقلي المستبصر العرفاني الروحي"[4]، وغياب تام للبصيرة الروحية الخالصة المبدأ الأساسي للأخلاق على حساب تضخيم للنطاق المادي وللميدان العاطفي، "وكل هذا يشد بعضه بعضا، ليجعل من الحضارة الغربية الراهنة شذوذا، إن لم نقل مسخا ووحشية"[5].

فالذي رآه غينون وهماً وآخذ به الحضارة الغربية هنا هو هذا "التقدم" الذي تزعمه، والذي ترى من خلاله أنّه لا يتحقق إلاّ إذا فُصل كلياً عن النشاط الروحاني للإنسان. وهذه ليست كل الجوانب التي شخّصها غينون لمعالجتها.

3-هيمنة الميدان الكمي المادي على الحضارة الغربية:

وإلى جانب بعض تلك الأوهام التي كشف عنها الشيخ عبد الواحد يحي، فإنّه أيضا عمل على إبانة أهم المرتكزات التي شكّلت الخلفية المعرفية والفلسفية والاجتماعية للأزمة الحضارية الغربية، لتنتهي بها في فوضى التشتُّت وفقدان المبادئ والوجهة الصحيحة، ومن أهمها:

1.3. العلم وهيمنة الكم المادي:

ينظر الشيخ عبد الواحد يحي إلى ماهية العلم الغربي برمته على أنّه "دراية خارجية سطحية"[6]، أو بعبارة أخرى كما يقول، وحتى لا نقول عنه "دراية جاهلة" فيمكن أن يوصف بأنّه "دراية دونية"، والمقصود بدونية هذا العلم هنا أو الدراية عند غينون، أي أنّه لا يرتبط بمبدئه الإلهي. ومن هذا الاعتبار فهو لا يميّز أيضا الفلسفة الغربية عن العلم الغربي حتى وإن سمّوها "الحكمة الإنسانية"، فهي ليست سوى حكمة بشرية صرفه بالمعنى الأضيق لهذه الكلمة، من حيث أنّها لا تستدعي أيّ عنصر علوي أسمى من الفكر، فهي أيضا يسميها "حكمة دونية"، فما هي إلاّ مظهر وهمي للحكمة الحقيقية الخالدة. فالمعرفة الغربية الحديثة، في رؤية غينون، تتسم بطابع دوني يبيّن إلى أيّ حدٍّ أنّها سطحية وسرابية وهمية وخادعة، تماماً كالسراب الذي يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً[7].

ويرى غينون أنّ انبهار الغربيين الذي لا حدود له بالعلم الحديث ينبع من كونه يلبي المطالب المادية، إذ، كما يقول:"لا يوجد إلاّ أمر واحد يمكن أن يفسر الانبهار بلا حدود والإجلال الخرافي تجاه هذا العلم: ذلك أنه ينسجم انسجاما تاما مع احتياجات حضارة مادية صرفه"[8]. فالعلم الحديث لا يقيم اعتبارا للتأمل المجرد، ويحصر الحياة في الجانب التطبيقي العملي النفعي، فالتقنية كأكثر مظاهر العلم الحديث لم تخدم الجوانب الروحية بقدر ما زادت في تغذية النوازع الغريزية التي تصب في خدمة الجسد فأصبح الجسد اليوم مصدرا للثروة داخل منظومة الاقتصاد السلعي. وأصبح يعّبر عن الهويّة الذاتية والفردية والاستقلالية ويعكس توجهات الفرد الفكرية والعقائدية، وحتى ذوقه الفني وحسه الجمالي.

---

[1]- عبد الواحد يحي، شرق وغرب،67، 68.

[2] - المؤلف نفسه، شرق وغرب، 67.

[3] -المؤلف نفسه، شرق وغرب، 68.

[4]- عبد الواحد يحي، أزمة العالم الحديث، 39.

[5]-عبد الواحد يحي، شرق وغرب، 68-69.

[6]- المؤلف نفسه، شرق وغرب، 88.

[7] -المؤلف نفسه، شرق وغرب، 88-89.

[8]- المؤلف نفسه،84.

فالتقنية الحديثة أعطت للجسد مركز الصدارة وانتزعت منه الروح، وبذلك شطرت من جديد العلاقة بين الجسد والروح، فأصبح العلم الغربي الحديث، حسب اعتقاد عبد الواحد يحي، يصب في خدمة الجسد ويحقق فقط ما يسميه بـ: "الرفاهية البدنية"[1].

هذه الرفاهية البدنية صنعت مجتمع الكم وأقصت الكيف، وارتد هذا الأمر إلى جميع الميادين والمجالات والنواحي، حيث أضحت "نظرة الغرب إلى الإنسان نفسه محكومة إلى هذا النمط الفكري الذي يعلي من قيمة الرقم على حساب قيمة المعنى. (...) بل كمّم الكيف نفسه وعبّر عنه بصيغ رقمية"[2]. فعلوم العصر الحديث، في تصور رنيه غينون، ترتكز فقط على مقولة "الكم" حتى إنّها تتعسف في إسقاطها حتى على العلوم ذات الطابع الكيفي، حيث تحاول إخضاع الكيف للكم. فالعلم عندهم بالمفهوم الضيق الذي حصروه فيه، لا قيمة له بالأخصّ إلا بمقدار قدرته على بلوغ تطبيقات صناعية. فالنموذج الحضاري الغربي في العصر الحديث هو الامتثال التام لفرضيات العلم الحديث، وعدم الاكتراث بالغايات الأخلاقية والإنسانية[3].

2.3. هيمنة النزعة الفردانية المادية:

الفردانية نزعة تعطي الأولوية إلى الفرد في كل المجالات. وتتجلى هذه النزعة في المجال الأخلاقي في مركزية الذات والمناداة بفصل الذات عن الغير وبتمجيدها وإبراز خصوصيتها، فهي نزعة إلى التفكير بذات الإنسان وحده منفرداً. واجتماعيا مذهب يُرجع تفسير الظواهر الاجتماعية والتاريخية إلى تدخل الأفراد. وسياسيا هي مذهب يدعو إلى تضييق سلطة الدولة وتوسيع نشاط الفرد[4].

ويعرّف رنيه غينون "الفردانية" بقوله: "والذي نعنيه بكلمة "فردانية" "Individualisme" هو إنكار أي مبدأ أعلى من الفرد، وبالتالي فهو اختزال لجميع ميادين الحضارة، في نطاق العناصر البشرية الصرفة وحدها؛ فهي في صميمها نفس ما سُمِّي في عصر النهضة باسم "النزعة الإنسانية "Humanisme"[5]. وكما نلاحظ فغينون هنا يطابق ويماهي بين النزعة الفردانية والنزعة الإنسانية فكل منهما تجعل الإنسان مركزاً للوجود. وفي هذا السياق يقول الفيلسوف وعالم الاجتماع الفرنسي المعاصر إدغار موران عن النزعة الفردانية: "إنّها دين الإنسان الذي يعتبر كذات سائدة أو ينبغي أن تسود على عالم من الموضوعات. أخلاقيا هي المأوى الذي لا غنى عنه لكل أخلاق. ميتافيزيقيا هي الواقع النهائي أو الأول الذي يطرد الموضوع كشبحٍ شاحب، أو بالأحرى كمرآة رديئة لبنيات فهمنا. لقد تمّ-ومن جميع الجهات-إضفاء الطابع المتعالي على الذات بشكل يبعث على الفخر أو على الخزي"[6]. لقد انتهت الفردانية الإنسانوية إلى أن تجعل "الأدنى يحكم على الأعلى، والجهل يفرض حدودا على الحكمة، والخطأ متغلّب على الحقيقة، واستبدل ما هو إلهي بما هو بشري، واستعلت الأرض على السماء، ووضع الفرد نفسه ميزانا لكل شيء، مدّعيا أنه يملي على الكون قوانين مبتدعة من عقله النسبي المعرض للخطأ"[7]. وهذا أفضى إلى بروز الفوضى والانحلال في هذه الحضارة الغربية المعاصرة.

ويذهب غينون إلى أن هذه النزعة امتدت إلى المجال الديني في الحركة البروتستانتية في المسيحية التي دعت إلى حرية التفكير الديني الذي يقوم على التأويل المتروك لهوى كل أحد والذي يعتمد حصريا على تفكير العقل البشري الفردي. وقد أفضى هذا الأمر، كما يرى غينون إلى التحلل العقيدي وفقدان العناصر العرفانية للدين، فصار بذلك مجرد نزعة "أخلاقوية"، انجر عنه "تظاهر عاطفي بالتدين". والجدير بالملاحظة هنا أنّ الشيخ عبد الواحد يحي يرى أنّ "الأخلاقوية"

---

[1]- المؤلف نفسه، 84؛ وانظر: ذهبان مفيدة، الروحانية النازلة-نقد المادية الغربية في فكر رينيه غينون (النجف-العراق: العتبة العباسية المقدسة، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، 1441هـ-2020م).

[2]- السيد مرتضى آويني، التنمية وأسس الحضارة الغربية مترجم: مسعود فكري (بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، 2016م)،8.

[3]- عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان (دمشق: دار الفكر،2007م)،137.

[4]- جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية (تونس: دار الجنوب للنشر، 2004)، 323-324.

[5]- عبد الواحد يحيى، أزمة العالم الحديث،67.

[6] - إدغار موران، الفكر والمستقبل، مدخل إلى الفكر المركب، مترجم: أحمد القصوار-منير الحجوجي (الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 2004)،42؛ أنظر: ذهبان مفيدة، الروحانية النازلة-نقد المادية الغربية في فكر رينيه غينون، 137.

[7]- عبد الواحد يحيى، أزمة العالم الحديث، 80.

انحطاط عن مرتبة "الأخلاقية"؛ فالأخلاقوية مصطلح يقصد به غينون جعل الأخلاق مبتورة عن أصلها المتجذر في الوحي الإلهي والمرتبط جوهريا بعقيدة التوحيد التي لها المقام الأول. فالأخلاقوية هي أخلاق مزعومة لا تستند إلاّ إلى عواطف نفسية وانفعالات شعورية يدعيها حتى الملاحدة، بينما الأخلاقية تعني الأخلاق التي أمر بها الله تعالى عباده فهي مرتبطة بالمبادئ الإلهية والأخلاق الربّانية والاقتداء بالرسل عليهم الصلاة والسلام[1].

إنّ الفردانية التي تعتبر من الأسس المركزية للحداثة الغربية أفضت في رؤية الشيخ عبد الواحد يحي إلى تراتيبة وجودية منحرفة وغارقة في الشذوذ تمّ فيها تبادل الأدوار بشكل هابط إلى أسفل، بدلاً من أن يصعد إلى أعلى؛ فالفردانية لا تتلاقى مع الروحانية من حيث نزوعها إلى الأسفل والدوني والظلماني، بينما الروحانية تنزع إلى الأعلى والعلوي والنوراني[2]. فقد استبدل الإنسان الروح بالمادة والكيف بالكم فأصبح نمط المعرفة الذي يرتكز على الفردانية والإنسانية يتجلى في صفتين أساسيتين لهذه الحضارة المعاصرة هما: "لا أخلاق في العلم" و"ولا غيب في العقل"[3]، وآل الأمر إلى فوضى اجتماعية أخلاقية كبيرة تعيشها هذه الحضارة المعاصرة، فالنزعة الفردانية هي السبب الحاسم في الانهيار الراهن للغرب[4].

3.3. المساواة والديموقراطية وهيمنة الكم المادي:

إنّ من أهم المفاهيم والمرتكزات الحضارة الغربية التي سلّط عليها غينون الضوء وأبان خضوعها للفهم الكمي المادي والمنسلخ عن الأخلاق والمبادئ التراثية العليا المساواة والديموقراطية.

لقد سعت الحضارة الغربية الحديثة إلى تعميم كل ما يتعلق بالحياة المعرفية والاجتماعية لتكون في متناول الجميع بدون استثناءات، لتزول ما تراه فوارق وتراتبية على المستوى المعرفي والاجتماعي، فتصبح الحياة المعرفية والاجتماعية على اختلاف مستوياتها ملكا للجميع. وقد تم هذا الحرص في التعميم تحت شعار"المساواة" و"الديموقراطية".

وفي واقع الأمر فقد آل الأمر في هذه الحضارة إلى أن تصبح المساواة والديموقراطية نفسهما شكلان من أشكال العداء للإنسان، لأنّهما يفضيان إلى عدم الاكتراث بالهوية أو بخصوصية الآخر، بل أصبحا تعبيرا عن المطلوب من الإنسان أن يصبح إنسانا طبيعيا عاما ليس له حدود إنسانية خاصة، إنسانا مرنا، ويتسم بأنّ دوافعه واحتياجاته طبيعية مادية، ومثل هذه الدوافع والاستجابات تدخله في عالم الأشياء الطبيعية وتجعل منه إنسان ذو بعد واحد لا يمكنه تجاوز واقعه المادي[5].

وينتقد غينون هذه المساواة والديموقراطية التي هي من أعزّ المثل العليا المنكوسة للعالم الحديث[6]. يعترض عليها ويرفض "التماثل المطّرد"، بمعنى التطابق والتماثل الكامل، "لأنّ إمكانية وجود التماثل المطّرد يفترض كائنات خالية من كلّ نعت، فلم تعد سوى وحدات عددية مجردة، ومثل هذا التماثل لا يمكن تحقيقه بالفعل أبدا، غير أنّ كل المجهودات المبذولة لتحقيقه، خصوصا في المجال الإنساني، لا يمكن أن تعطي من نتيجة سوى تجريد الكائنات من أوصافها المميزة، تجريدا قد يزيد أو قد يقل، بحيث تكون أشبه بالآلات العادية، لأنّ الآلة هي المنتوج المميز للعالم الحديث، هي ما يمثل حقا أدنى الدركات التي أمكن حتّى الآن إدراكها، تغلب الكم على الكيف"[7].

---

[1]- المؤلف نفسه، أزمة العالم الحديث، 73؛ وهامش رقم 2، الصفحة نفسها.

[2] - المؤلف نفسه، أزمة العالم الحديث، 67؛ أنظر: ذهبان مفيدة، الروحانية النازلة-نقد المادية الغربية في فكر رينيه غينون، 138.

[3] - طه عبد الرحمان، سؤال الحداثة، مساهمة في النقد الأخلاقي للحضارة الغربية (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2000)، 92.

[4]- عبد الواحد يحي، أزمة العالم الحديث، 67.

[5]- عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، 188.

[6]- عبد الواحد يحيى، هيمنة الكم وعلامات آخر الزمان، 65.

[7]- المؤلف نفسه، هيمنة الكم وعلامات آخر الزمان، 65.

وللانفلات من الفوضى التي يتخبط فيها العالم الغربي، أدان غينون غرور وأوهام "الديمقراطية" و"المساواتية"[1]. يقول روجيه غارودي(1913-2012م): "الفوضى أصبحت تهيمن، فنحن في مرحلة من مراحل تاريخ البشرية، توشك فيها الحضارة الغربية أن تنتحر لفقدانها للهدف، ولإفراط الوسائل، ورجحان اللانهائي الكمي[2].

إن غياب المبدأ الأعلى الذي يوحّد التوجهات السياسية، هو ما يثير كل تلك الفوضى الاجتماعية، في حين أنّه عندما ترتبط الممارسات السياسية بالمبدأ الأعلى، فمهما تعددت الوسائل، ستنتهي إلى غاية واحدة وهي خدمة الجانب الروحي باعتباره هو الوحيد الذي يوحد، ويقضي على التشتت والفوضى؛ في حين تظل الديمقراطية شكلاً دنيويًّا عاجزا عن بلوغ الهدف المرجو."[3]

من أجل أن تحقق الحضارة الغربية التماثل والتطابق المطّرد ضحّت بكل ما هو علوي مقدس، ليبقى كل شيء في مستوى سفلي دنيوي، بل إنّها من خلال مبدأي الديمقراطية والمساواة دمرت التراث الروحي. وللخروج من هذه الفوضى، يجب استعادة التوجه العرفاني المستبصر، من خلال إعادة تكوين الصفوة التي لا وجود لها في العالم الغربي الحديث[4].

4-إعادة إحياء التراث العرفاني الروحي الأخلاقي أساس الحفاظ على الحضارة:

ومن خلال ما سبق فإنّ مكوّنات الحضارة عند رنيه غينون ليست متساوية بل متفاوتة وتخضع لسلم تراتبي هرمي يتفاوت في القيمة والمرتبة، ففي المرتبة الأعلى يأتي العرفان الروحي الأخلاقي وفي المرتبة السفلى نجد الميدان المادي[5]. فعندما يتغلب العرفاني الروحي الأخلاقي على الميدان المادي يحصل انتصار للحضارة، وعندما يحدث العكس يحصل الانتكاس والانهيار. وفي هذا الإطار يقول غينون: "فالحضارة المنحطة روحيا رغم تفوقها بلا منازع في الجانب المادي ستكون خاسرة في المحصّلة، مهما كانت المظاهر الخارجية، وهذه هي حالة الحضارة الغربية"[6].

ومن هنا فقد سعى الشيخ عبد الواحد يحي لإيجاد البدائل الملائمة لإنقاذ الحضارة الغربية وتوجيهها توجيها سليماً سوياً. والعلاج الذي يقدمه غينون للحضارة الغربية هو علاج من الطراز العرفاني الروحي الأخلاقي، وهو لبّ ما فقدته الحضارة الغربية المعاصرة. فالقطيعة التي مارستها الحضارة الغربية المعاصرة مع السماء، مع الدين وتهميشها للمقدس وللأخلاقي لم تستطع أن تعطي معنى كلياً للحياة يتكامل فيه الوجود الدنيوي مع الأخروي، وقد أفضى هذا الأمر إلى انتكاسة كبيرة على مستوى المعنى الوجودي للإنسان الغربي المعاصر، والميدان المادي لم يستطع بدوره أن يلبي حاجات هذا الإنسان[7]. لا بد إذن من إعادة بعث هذا التراث العرفاني الروحاني الأخلاقي من أجل تجنب الانهيار والإفلاس التام.

فإحياء التراث العرفاني الروحي الأصيل الحقيقي كفيل بتصحيح وإصلاح المسار المنحرف للحضارة الغربية[8]. وهذا التراث الذي يعنيه غينون هو " ما يستلزم عنصرا من طراز فوق بشري"، أي لا يُعتبر تراثا أصيلا إلا ما كان مرتبطًا بالوحي الإلهي[9]؛ فكل ما هو من نمط بشري صرف لا يصح لهذا السبب نفسه أن يوصف شرعا بأنّه تراثي أصيل"[10]، إذ لا يوجد إلاّ تراث أصيل واحد، هو ذلك الموصول فعلا بالوحي الإلهي الحقيقي. كما أنّ هذا التراث في رؤية الشيخ عبد الواحد يحي لا يقع في دائرة مفهوم "الاندماج" فهو أشد ما يكون في البعد عنه حيث يقول: "فالتراث الروحي ليس بالأمر الذي يمكن اختراعه أو إنشاؤه بكيفية اصطناعية. وإجهاد النفس في تجميع عناصر مستعارة من مذاهب مختلفة، لا ينتج أبدا إلا تراثا مزيفاً

---

[1]- عبد الواحد يحي، السلطة الروحية والحكم الزمني،97.

[2]- روجيه جارودي، في سبيل حوار الحضارات، مترجم: عادل العوّا (بيروت: عويدات للنشر والطباعة، 1999)، 37.

[3]- عبد الواحد يحي، أزمة العالم الحديث،90.

[4]- المؤلف نفسه، أزمة العالم الحديث،91.

[5] - عبد الواحد يحي، شرق وغرب، 48.

[6] - المؤلف نفسه، شرق وغرب، الصفحة نفسها.

[7] - فرتجوف شيون، كيف نفهم الإسلام، مترجم: عفيف دمشقية (بيروت: دار الآداب، 1978)، 37.

[8] - عبد الواحد يحي، أزمة العالم الحديث، 40.

[9]- عبد الواحد يحيى، هيمنة الكم وعلامات آخر الزمان، 231.

[10] - المؤلف نفسه، هيمنة الكم وعلامات آخر الزمان، 232.

خال من كل قيمة ومن كل بعد. ومثل هذا التصرف يدل على الجهل بحقيقة التراث الروحي العرفاني، وعدم فهم المعنى الصحيح والعميق لتلك العناصر التي يجتهد في تجميعها"[1]. وعلى ذلك فهو يرفض هذا الأمر بصرامة.

ولاستعادة هذا التراث العرفاني الروحي المفقود في الحضارة الغربية وإحيائه لا بد من الاتصال بروح التراث الحي، وفي الشرق وحده لا يزال هذا التراث حيا متألقا في عنفوانه[2]. وإذاً فمن النتائج التلقائية لإحياء هذا التراث العرفاني الروحي الأخلاقي في الغرب هو التقارب مع الشرق. وبناء عليه فالواجب على الغرب القيام بخطوات التقارب الأولى نحو الشرق واستلهام روحانية الشرق وتجسير الهوة معه من خلال التفاهم على المبادئ، لانتشال الحضارة الغربية من ضياعها[3].

ومن جانب آخر فإنّ رؤية رنيه غينون تقضي بأنّ أية محاولة لإيجاد فرص للتلاقي بين العقلية التراثية العرفانية الروحانية الأخلاقية الموصولة دائما بالسماء، والعقلية المادية المحضة التي تهيمن على الحضارة الغربية المعاصرة، سيكون مآلها الإجهاض لا محالة، فلا يمكن في الواقع "إيجاد أيّ توفيق بين العقلية العرفانية الروحانية والعقلية الحديثة، وكل تنازل لصالح الثانية إنّما يقع على حساب الأولى، لأنّ العقلية الحديثة، في صميمها، ماهي إلاّ الرفض نفسه لكل ما يؤلف العقلية العرفانية"[4].

ولانتشال الإنسان من عدمية الحداثة الغربية وفوضاها رأى غينون أنّ العلاج يكمن، بالإضافة إلى ما ذكرناه سابقا، في إعادة تشكيل الصفوة. إنّ "الصفوة"، عند عبد الواحد يحي، هي النخبة التي تحوز على العقلية والتحقق بالمعرفة الروحية[5]. أي أنّ الصفوة، التي يقصدها عبد الواحد يحي، هي "التي قد تلقت إعدادا روحيا خالصا يحميها من أي انحراف عندما تخوض في أي علم، لذلك فإنها محصنة بأساس ثابت هو "المبادئ" التي تحوطها وتصونها من الضياع والتشتّت. هذه الصفوة تسير على أرضٍ صلبة ولن تضلّ السبيل لأنّ العنصر الموجّه لها هو عنصر أسمى يجعلها موصولة بعالم السماء فلا تحيد عن الطريق"[6]. يقول عبد الواحد يحي في هذا الصدد:" ونعني بها صفوة ذات تحقق عرفاني روحاني، ولا يمكن أن يوجد في الحقيقة سواها، إذ أنّ كل التمايزات الخارجية الظاهرية ليست لها أي أهمية في وجهة النظر التي نقف عندها"[7]. والتحقق العرفاني الروحاني الذي تحوزه هذه الصفوة هو المتحقق بنور البصيرة الروحانية كما هو الأمر عند أولياء الرحمان.

ولتشكيل هذه الصفوة في الغرب يرى غينون بأنّه لا بد من دراسة المذاهب الشرقية لكي يكتسبوا ويطوروا في أنفسهم العرفان الخالص، ومن الضروري، كما يرى، اللجوء إلى شخصيات يكونوا وسائط لاكتساب معرفة مباشرة بقدر الإمكان، وعند اكتمال الاستيعاب لا ما نع من أن تقوم هذه الصفوة بدعوة الممثلين للتراثيات العرفانية الروحية الشرقية لتعزيز التعاون والتآزر بين الشرق والغرب[8]. إنّ الدور المنوط بهذه الصفوة والمأمول تحقيقه، هو إنقاذ الحضارة الغربية من هاوية السقوط، وإحياء التراث الروحي لترسي ما هو نهائي محلّ ما هو مؤقت، وتحول كل فوضى إلى نظام. وفي الواقع فمن بعد وفاة رنيه غينون إلى يومنا هذا فإنّ هناك ملامح ساطعة مبشّرة لظهور هذه الصفوة في أفق الحضارة الغربية وقد بات دورها واضحا ومشاهدا في محاولة إعادة البعث والإحياء الروحي للغرب.

وعلى الرغم من كل ما أصاب الحضارة الغربية، يبقي الشيخ عبد الواحد يحي متفائلا حيث يقول: "فلا داعي إذاً لليأس، وحتى لو لم يبق أيّ أمل لبلوغ نتيجة محسوسة قبل فناء العالم الحديث بفعل كارثة ما، فليس هذا سببا مقبولا لعدم القيام بعمل تمتدّ آثاره الإيجابية إلى ما بعد الحقبة الراهنة. وليعلم الذين قد يميلون إلى الشعور بالإحباط أنّ لا شيء يحصل القيام به في هذا المستوى يمكن أن يضيع، وأنّ الفوضى والباطل والظلام لا يمكن أن تكون لهم الغلبة إلاّ ظاهريا

---

[1]- عبد الواحد يحي، شرق وغرب، 192-193.

[2]- عبد الواحد يحي، أزمة العالم الحديث، 36.

[3]-عبد الواحد يحي، شرق وغرب، 136.

[4] - عبد الواحد يحي، هيمنة الكم وعلامات آخر الزمان، 100؛ أنظر: ذهبان مفيدة، الروحانية النازلة-نقد المادية الغربية في فكر رينيه غينون، 201.

[5]- عبد الواحد يحي، شرق وغرب، 142-143.

[6] - ذهبان مفيدة، الروحانية النازلة-نقد المادية الغربية في فكر رينيه غينون، 203.

[7]- عبد الواحد يحيى، أزمة العالم الحديث، 39.

[8]- المصدر نفسه شرق وغرب، 196.

وخلال فترة مؤقتة محدودة جدّا، وأنّ جميع الاختلالات الجزئية والعارضة تساهم بالضرورة في التوازن الكلي العظيم، ولا شيء في النهاية أن يتغلّب على قدرة الحقّ؛ وينبغي أن يكون شعارهم الشعار الذي تبنته قديما بعض تنظيمات التربية الروحية في الغرب: الحقيقة أعلى من كل شيء"[1].

وفي الواقع فإن الدارس بعمق للحركات الفكرية في الغرب يدرك تمام الإدراك الدور الكبير الذي قام به رنيه غينون في الأوساط المثقفة الغربية الباحثة عن الحقيقة؛ فحياة رنيه غينون كانت مفصلية في التطور الروحي والفكري للغرب في القرن العشرين والقرن الواحد والعشرين، فقد أحدثت مكتوباته النوعية والكثيرة والغزيرة آثارا هائلة في الدراسات الروحية والفكرية في الغرب ونقلة كبيرة ارتفعت بها من مستويات متعصبة ومضللة وتافهة ومغلقة إلى مدارج عميقة وانفتاح على مختلف التراثيات لمختلف الأمم والشعوب في العالم. والقارئ الصادق الباحث عن الحقيقة لكتبه من المثقفين الغربيين، يجد نفسه منساقا تلقائيا من أعماقه إلى التعرف على الإسلام واعتناقه اقتداء بالمؤلف الذي أسلم في بداية شبابه بعد اطلاعه العميق على جميع الأديان والملل وتعرّفه على الممثلين الحقيقيين لها[2].

خاتمة:

لقد حاولت من خلال هذه الورقة البحثية الإجابة عن إشكالية الدراسة التي طرحتها في المقدمة، ويمكن القول في إطار الإجابة العامة عنها، أنّ الروح الأخلاقية أو الحقيقة الأخلاقية في بعدها الميتافيزيقي المرتبط بالإيمان بالله تعالى وبالتراث العرفاني الروحي المرتبط بالوحي الإلهي والملّة الأصليّة والحكمة الخالدة يعدّ أساساً للحضارة عند رنيه غينون. وقد تجلت هذه الرؤية في ذلك النقد الصارم الذي وجهه غينون للحضارة الغربية. وفي إطار هذه الإجابة العامة والكلية عن الإشكالية نرصد جملة من النتائج الآتية:

1-يعدّ الميتافيزيقي الكبير الفرنسي المسلم الشيخ عبد الواحد يحي، (رنيه غينون) من أهمّ الباحثين الغربيين البارزين الذين قدّموا نقدا صارماً للحضارة الغربية المعاصرة، بل إنّ جانبا مهمًّا من مشروعه قائم على نقد أسسها المادية التي ارتكزت عليها، حيث قدّم نقدا ميتافيزيقيا أخلاقيا مفصّلا لأهمّ مفاهيمها وتجلياتها في قطاعاتها الفكرية والعلمية والفردية والاجتماعية وغيرها، وترك نتاجا فكريا معتبرا في هذا الموضوع.

2-يتجلى مفهوم الأخلاق عند غينون أساسا في عدم انفكاكه عن الدين بتضمّنه جانبا ميتافيزيقيا مهمّا يحدد علاقة وطيدة بين الأخلاق و"الميتافيزيقا الخالصة" كما يصفها رنيه غينون، (أو العرفان الإلهي)، والتي تتجلى أكثر في الجانب الباطني الروحي للدين أو للشريعة، وفي التراثي الروحاني العرفاني لمختلف الملل الكبرى عبر تاريخ البشرية.

3-يفرق غينون بين مصطلحين أساسين في المجال الأخلاقي هما: "الأخلاقوية" و"الأخلاقية"، فيرى أنّ المصطلح الأول هو انحطاط عن مرتبة المصطلح الثاني؛ فـ"الأخلاقوية" عنده هي أخلاق مزعومة لا تستند إلاّ إلى عواطف نفسية وانفعالات شعورية رجراجة يدعيها حتى الملاحدة، وهي التي تجعل الأخلاق مبتورة عن أصلها المتجذر في الوحي الإلهي والمرتبط جوهريا بعقيدة التوحيد التي لها المقام الأول. بينما "الأخلاقية" تعني الأخلاق التي أمر بها الله تعالى عباده، فهي مرتبطة بالمبادئ الإلهية والأخلاق الربّانية والاقتداء بالرسل عليهم الصلاة والسلام.

4-يتأسس مفهوم الحضارة عند غينون على جملة من المرتكزات من أهمها على الإطلاق: التراث الروحي العرفاني الموصول بالوحي الإلهي ورسالات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. ويشكّل جوهر الحضارة وأساسها ويضفي عليها المعنى والغاية، ويضطلع بدور هام في نقل المعارف الروحانية والميتافيزيقية والقيم الأخلاقية جيلا بعد جيل، وهو الذي يحفظ على الحضارة روحها.

5-على الرغم من أنّ غينون لا ينكر إنجازات الحضارة الغربية المادية والعلمية، لكنّه يرى أنّ ما يعتبره الغربيون تقدما حضاريا ما هو في حقيقة الحال إلا تقهقرا وتنكيساً بسبب ذلك الإقصاء الذي تمارسه هذه الحضارة ضد التراث الروحاني العرفاني، وفقدان الصلة بالسماء، وهيمنة الكم والمادية المفرطة التي سيطرت عليها وتحكمت بها وجذبتها نحو دركات الظلمانية السفلى.

---

[1]- عبد الواحد يحيى، أزمة العالم الحديث، 128.

[2] - عبد الباقي مفتاح، شاهد الحقيقة رنيه غينون، 135.

6-الحضارة الغربية في منظور غينون مآلها الانهيار والسقوط إذا لم تدرك وتقبل حقيقية الداء الذي ألّمّ بها والذي صنعته وغذته بأوهامها التي تقف بالضد من الروحانية والأخلاق، والتي تتجلى في ذلك الاختزال الذي تمارسه على غيرها من حضارات الشعوب الأخرى وبالأخص الشرقية منها. وفي وهم العلم والتقدم والفردانية والمساواة والديموقراطية وغيرها مما تراه أسسا لحداثتها.

7-سعى رنيه غينون لإيجاد البدائل الملائمة لإنقاذ الحضارة الغربية وتوجيهها توجيها سليماً سوياً. والعلاج الذي قدمه لها هو علاج من الطراز العرفاني الروحي الأخلاقي، وهو لبّ ما فقدته الحضارة الغربية المعاصرة. ومن أهم مرتكزاته:

أ-إحياء التراث العرفاني الروحي الأصيل الحقيقي وهو ما كان مرتبطًا بالوحي الإلهي.

ب-الاتصال بروح التراث الحي في الشرق والقيام بخطوات التقارب الأولى نحوه واستلهام روحانيته وتجسير الهوة معه من خلال التفاهم على المبادئ.

ج-إعادة تشكيل الصفوة وهي النخبة التي تحوز على العقلية والتحقق بالمعرفة الروحية والتحقق العرفاني الروحاني الذي تحوزه هذه الصفوة هو المتحقق بنور البصيرة الروحانية كما هو الأمر عند أولياء الرحمان، وحسب غينون فإنّ المسؤوليات تُناط أكثر، في التنظيم الهرمي لأية حضارة بالنخبة الفكرية والروحية التي تُرشد المجتمع نحو تحقيق غايته العليا.

المصادروالمراجع:

أولاً: المصادر الخاصة (كتب رنيه غينون)

1-أزمة العالم الحديث. مترجم: عبد الباقي مفتاح. إربد الأردن: عالم الكتب الحديث، 2016م.

2-السلطة الروحية والحكم الزماني. مترجم: عبد الباقي مفتاح. إربد الأردن: عالم الكتب الحديث، 2018م.

3-شرق وغرب. مترجم: عبد الباقي مفتاح. إربد الأردن: عالم الكتب الحديث، 2016م.

4-مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية والهندوسية بوجه خاص. مترجم: عمر الفاروق عمر. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2003م.

5-هيمنة الكم وعلامات آخر الزمان. مترجم: عبد الباقي مفتاح. إربد الأردن: عالم الكتب الحديث، 2013م.

ثانياً: المصادروالمراجع العامة

6-الأزدي، أبو بكر. جمهرة اللغة. تحقيق: رمزي منير بعلبكي. بيروت: دار العلم للملايين،1987م.

7-آويني، السيد مرتضى. التنمية وأسس الحضارة الغربية. مترجم: مسعود فكري. بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، 2016م.

8-بدوي، عبد الرحمن. موسوعة الفلسفة. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1984م.

9-بن نبي، مالك. آفاق جزائرية. مكتبة عمار،1981م.

10-بن نبي، مالك. مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي. مترجم: بسام بركه وأحمد شعبو. بيروت: دار الفكر المعاصر، 1988م.

11-جارودي، روجيه. في سبيل حوار الحضارات. مترجم: عادل العوّا. بيروت: عويدات للنشر والطباعة، 1999م.

12-الجوهري، أبو نصر. الصحاح. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. بيروت: دار العلم للملايين، 1987م.

13-حلمي، مصطفى. الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام. بيروت: دار الكتب العلمية، 1442هـ/ 2004م.

14-ديورانت، ويل. قصة الحضارة. مترجم: زكي نجيب محمود. بيروت: دار الجيل، 1982م.

15-الرازي، أبو بكر. مختار الصحاح. تحقيق: يوسف الشيخ محمد. بيروت: المكتبة العصرية، الدار النموذجية،1999م.

16-ريتشي، أنجوس. من الأخلاق إلى الميتافيزيقا. مترجم: خليل زيدان. الرياض: دار وقف دلائل للنشر، 1442هـ/2021م.

17-الزَّبيدي، مرتضى. تاج العروس. تحقيق: مجموعة من المحققين. دار الهداية، (د. ت).

18-الزركشي، بدر الدين. التذكرة في الأحاديث المشتهرة. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، 1986م.

19-سعيد، جلال الدين. معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية. تونس: دار الجنوب للنشر، 2004م.

20-شبنغلر، أوزفالد. تدهور الحضارة الغربية. مترجم: أحمد الشيباني. بيروت: دار مكتبة الحياة، (د.ت).

21-شيون، فرتجوف. كيف نفهم الإسلام. مترجم: عفيف دمشقية. بيروت: دار الآداب، 1978م.

22-عبد الرحمان، طه. سؤال الحداثة. مساهمة في النقد الأخلاقي للحضارة الغربية. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2000م.

23-ابن عجيبة. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد. تحقيق: عمر أحمد الراوي. بيروت: دار الكتب العلمية، 2005م.

24-الغزالي، أبو حامد. إحياء علوم الدين. بيروت: دار المعرفة، (د.ت).

25-الفيروزآبادى. القاموس المحيط. تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة. بيروت: مؤسسة الرسالة، 2005م.

26-لالاند، أندريه. موسوعة لالاند الفلسفية. تعريب: خليل أحمد خليل. بيروت-باريس: منشورات عويدات، 2001م.

27-مُبارك، زكي. الأخلاق عند الغزالي. مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012م.

28-مجمع اللغة العربية. المعجم الفلسفي. القاهرة: الهيئة العامة للشؤون الأميرية، 1403هـ/1983م.

29-ابن مسكويه. تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق. تحقيق: عماد الهلالي. بغداد-بيروت: منشورات الجمل، 2011م.

30-المسيري، عبد الوهاب. الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان. دمشق: دار الفكر،2007م.

31-مفتاح، عبد الباقي. شاهد الحقيقة رنيه غينون. الجزائر: المكتبة الفلسفية الصوفية،1441هـ/2019م.

32-مفيدة، ذهبان. الروحانية النازلة. نقد المادية الغربية في فكر رينيه غينون. النجف-العراق: العتبة العباسية المقدسة، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، 1441هـ/2020م.

33-ابن منظور. لسان العرب. بيروت: دار صادر، 1414هـ.

34-موران، إدغار. الفكر والمستقبل، مدخل إلى الفكر المركب. مترجم: أحمد القصوار-منير الحجوجي. الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 2004م.

35-الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة. الأخلاق الإسلامية وأسسها. بيروت: دار القلم، 1999م.

ثالثاً: رسائل علمية

هناء، بن عمارة-عائشة، تواتي طليبة. نقد هيمنة الكم في الحضارة الغربية عند الشيخ عبد الواحد يحي. الوادي، جامعة الوادي، كلية العلوم الإسلامية، مذكرة ماستر، 2020م.

رابعاً: النت

36-يوسف، نهى: "جدلية العلاقة بين الدين والأخلاق"، https://journals.ekb.eg/article_121611.html، (الوصول 8-7-2024).